تَوديعُ الوادِعِي والتَّوعِيةُ لِمَن يَعِي

(هذه القصيدة رثاء للشيخ أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي علاّمة الحديث المعروف ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وكان الشاعر على علاقة طيّبة به)

١٠/٦/١٤٢٢هـ - ٢٩/٨/٢٠٠١م

عَـــدَتْكَ الشَّـــمَاتَةُ[1] يَـــا مُقْبِـــلُ ... وَلاَ يَشْـــمَتُ الْمَلَـــأُ الكُمَّـــلُ

وَوِرْدُ الـــرَّدَى قَـــدَرٌ فِي الْـــوَرَى ... وكَـــأْسُ الأَخِـــيرِ هُـــوَ الأَوَّلُ[2]

أَشَـــاعُوا رَحِيلَـــكَ قَبْـــلَ الرَّحِيـــلِ ... فَهَـــلْ إِنْ رَحَلْـــتَ فَلَـــنْ يَرْحَلُـــوا؟

بَكَتْـــكَ الْعُلُـــومُ عُلُـــومُ الْحَـــدِيثِ ... وَعَـــالِي الأَســـانِيدِ والأَسْـــفَلُ

وَصَـــلَّتْ علَيـــكَ رُبُـــوعُ الصَّـــلاةِ ... وَوِدْيانُنَـــا وكَـــذَا الأَجْبُـــلُ

فَفِيهـــا نَشَـــرْتَ عَبِيْـــرَ الْهُـــدَى ... بِقَـــولِ النَّبِـــيِّ وَمـــا يَفْعَـــلُ

وأَحْيَيْـــتَ سُـــنَّةَ خَـــيرِ الْـــوَرَى ... فَلَقَّـــاكَ ذُو الْعَـــرْشِ مـــا تأْمُـــلُ

ألاَ رحْمَـــةُ اللهِ تَغْشَـــاكَ مـــا ... دَعَـــا الـــذَّاكِرُونَ ومـــا هلَّلُـــوا

نَظُـــنُّ بِـــكَ الْفَضْـــلَ مهْمَـــا جَـــرَى ... وإِنْ جَهِـــلَ الْفَضْـــلَ مَـــنْ يَجْهَـــلُ

---

١ أي تَجاوَزَتْك الشَّمَاتة .

٢ وِرْدُ الرَّدَى : الوِرْد هو مكان شُرْب الماء ، والرَّدَى هو المَوت ، والمقصود : أن المَوت مِثل مكان الشُّرْب سوف يَمُرّ به كلُّ شخْص ، والكأس الذي يشرَبُه الأخير هو نفس الكأس الذي يشربُه الأوّل .

وإِنْ كـــانَ نَقْـــدٌ لَـــدَيْنا لكُـــم ... فَلسْـــنَا نُؤَنِّـــبُ مَـــن يَرْحَـــلُ[1]

عَرَفْنـــا الْحِمَـــى[2] حَرَمـــاً آمِنـــاً ... لِمَـــا قَـــد يَصِـــحُّ ومَـــا يَبْطُـــلُ

فلمَّـــا قَـــدِمْتَ تَحَـــامَى الْحِمَـــى ... مِـــنَ الْمُحْـــدَثاتِ وَمَـــنْ بَـــدَّلوُا

وصَـــارَ السَّـــقِيمُ ولَـــوْ سَـــاقَهُ ... عَظِـــيمُ الْبَلَاغَـــةِ لاَ يُقبَـــلُ

شُـــيُوخُ الْـــبِلادِ أُلُـــوْفُ الْعِبـــادِ ... عِيـــالٌ علَـــيكُم بِمَـــا حَصَّـــلُوا

ودُورُ الْحَـــدِيثِ هُنَـــا أوهُنـــاكَ ... بُـــدُورٌ وَبَـــدْرُكُمُ الأَوَّلُ[3]

وفِي سَـــائِرِ الأَرْضِ ذِكْـــرٌ لَكُـــم ... وَيَـــا لَلْبَسَـــاطَةِ مَـــا تَفْعَـــلُ

وأَنْـــتَ الْمُجَـــدِّدُ فِي أَرْضِـــنَا ... لِمَـــا سَـــنَّهُ السَّـــلَفُ الكُمَّـــلُ

فكَـــابْنِ الْـــوَزِيرِ وكَـــابْنِ الأَمِـــيرِ ... وكَـــالْمَقْبَلِيِّ مَضَـــى مُقْبِـــلُ

ويـــا مَـــنْ مَضَـــيتُمْ علَـــى دَرْبِـــهِ ... تَحَـــرَّوْا وَإِيَّـــاكُمُو وَالْغُلُـــو[4]

إذا مـــا بَـــدَا الْحَـــقُّ لارَيْـــبَ فِيـــهِ ... فَمِـــنْ أَيِّ صَـــوْبٍ أَتَـــى فَـــاقْبَلُوا

فَمَـــا الْحُـــبُّ لِلشَّـــيخِ تَقْلِيـــدُهُ ... لِـــأَنَّ الـــدَّلِيلَ هُـــوَ الْفَيصَـــلُ

---

١ أي أننا نُحسن بك الظن ونَعترف لك بالفضْل مهما حصل من تَبايُن في الاجتهادات ، وإن جَهل فضْلك الجاهلون ، وإن كان عندنا أيُّ نقْد في بعض الاجتهادات فليس وقتُه عند رحيلك (كما فعل الذين ابْتُلوا بالشَّماتة) .

٢ الحِمَى ما يَلْزَم حمايَته كالبلد ونحوه والمقصود كان بلدُنا مسْرَحاً للصحيح والباطل من الأحاديث ، فلما جاء الشيخ مقبل تَحَامَى الناس من الوقوع في المُحْدَثات والأحاديث الضعيفة ، وصار الحديث الضعيف غير مقبول في الأحكام ولو ساقه صاحب وجاهة أو بلاغة .

٣ بدرُكم الأوَّل : أي دارُ الحديث التي أسّسْتمُوها كانت هي الأولى .

٤ نصيحة للذين ساروا على منهج الشيخ أن يتحرَّوا ويتجنّبوا الغلُوَّ في الشيخ والشدَّة في التعامل .

ومَـــن زانَـــهُ الرِّفْـــقُ أفْضَـــى بِـــهِ ... إلى مـــا هُـــوَ الْخَـــيرُ والأَمْثَـــلُ

وجَـــدْوَى الْبَصِـــيرَةِ في وَاقِـــعٍ ... كَجَـــدْوَى الْعُيـــونِ لِمَـــن يَعْمَـــلُ[1]

وحُسْـــنُ الْـــمَظِنَّةِ بالْمُسْـــلِمينَ ... مِـــلاَكُ السُّـــلُوكِ لِمَـــنْ يَعْقِـــلُ

وأَمَّـــا الْـــمُصِرُّ علَـــى بَاطِـــلٍ ... فـــإِنْ سَـــاءَ ظَـــنٌّ فيَسْـــتَأْهِلُ[2]

وكـــانَ ابْـــنُ بـــازٍ بِتِلْـــكَ السِّـــمَاتِ ... جَلِيْـــلَ الصِّـــفَاتِ لَـــهُ الْمَنْـــزِلُ

وأَهْـــلُ الْحَـــدِيثِ لَـــهُم حِـــدَّةٌ ... وبِـــالرَّغْمِ مِنْهَـــا فَقَـــدْ أَصَّـــلُوا

ومَـــن يَنْقُـــدِ الشَّـــيخَ في نَقْـــدِهِ ... فقُـــلْ لِـــي بِرَبَّـــكَ مَـــن يَكْمُـــلُ؟[3]

تَواصَـــوْا علَـــى الْـــبُخْلِ في ذِكْـــرِهِ ... وكَـــم لَمَّعُـــوا النَّـــذْلَ لَمْ يبْخَلُـــوا[4]

أَصَـــبْتَ الـــرَّوافِضَ في مَقْتَـــلٍ ... ورَكْـــبُ الْـــجَهالَةِ قـــد شَلْشَـــلُوا[5]

وقـــد حَـــاوَرُوا دُونَـــكَ الْمَـــارِقِيْنَ ... أَلاَ حَـــاوَرُوكَ فَلَـــمْ يَعْجَلـــوُا

كَمَـــا حـــاوَرُوا مُقْبِلـــاً غَيرَكُـــم ... وأَنْـــتُمْ لَهُـــم مُقْبِـــلٌ أَفْضَـــلُ

كِتَابـــاتُهُم تَتَعـــدَّى الْحُـــدُودَ ... وإِعْلامُهُـــمْ بِـــئْسَ مـــا يَفْعَـــلُ

---

١ وفِعْل البَصيرة (القلب) في عُمْق المنْهج كفِعْل العَين في النظر إلى ظاهر العمل والتنفيذ .

٢ والأصْل حُسن الظن بكل مسلم إلا المُصِرّ على باطلٍ ظاهر فيستَحق إساءة الظن به .

٣ والحِدّة طبْعٌ لأهْل الحديث في نقْد الرجال قديماً وفي هذا العصر ، ورغم ذلك أصّل أهل الحديث للنقد بضوابط شرعية لا يخرجون عنها إذا دقّقنا في عباراتهم ، والذي يَنتقد الشيخ في نَقدِه ربما يكون واقعاً في خلل أكبر ، ولا يجوز لأحدٍ أن يدّعيَ الكمال .

٤ تعمَّد خصومُ الشيخ ممَّن يدَّعون الإنصاف أن يتجاهلوه في حين يقومون بإطراء الأنذال .

٥ الشيخ يواجه الروافض بقوّة ، وخصومُه الذين يقولون إنهم دعاة يُشلشِلُون (يَرفَعون) من شأن الروافض في إيران و في لبنان و في اليمن وغيرها في الفترة الماضية ويُحْسنون الظن بهم .

أَيَسْتَنْصِـــــرُونَ بِـــــذاكَ الإِلَـــــهَ؟! أمِ انْتَـــــابَهُم خَلَـــــلٌ مُـــــذْهِلُ ؟!

وحَبْـــــلُ الْحِـــــوَارِ قَصِـــــيرٌ لَكُـــــم وأَمَّـــــا هُنَـــــاكَ فَمُسْتَرْسِـــــلُ

وقَـــــدْ أَهْمَلُـــــوَا وازْدَرَوا شَـــــأْنَكُم ومـــــا مِـــــثْلُكُم شَـــــأْنُهُ يُهْمَـــــلُ[1]

أَلَمْ يَعلَمُـــــوا أَنَّكُـــــم وَاقِـــــعٌ ومَـــــاضٍ مَدِيـــــدٌ ومُسْـــــتَقْبَلُ؟

ومَـــــن ضَـــــاقَ لم يَحْتَمِـــــلْ مُسْـــــلِماً لَـــــوَى أَنْفَـــــهُ الْكَـــــافِرُ الأَرْذَلُ

أَلاَ سَـــــدَّدَ اللهُ مَـــــن يَبْـــــذُلُ تَـــــدَابِيْرَ صُـــــلْحٍ وَلا يَكْسَـــــلُ

وإِنَّ التَّصَـــــالُحَ فِي الْمُســـــلِمينَ علَـــــى نَهْـــــجِ حَـــــقٍّ بِهِـــــمْ أَجْمَـــــلُ

ولَـــــن يَعْجِـــــزَ الْحَـــــقُّ عَـــــن جَمْعِهِـــــمْ كَمـــــا اجْتَمَـــــعَ السَّـــــلَفُ الأَوَّلُ[2]

ولَكِـــــنَّ تَقْـــــدِيْسَ أَهْـــــلِ الْهَـــــوَى وأَهْـــــلِ الزَّعامَـــــةِ مُسْـــــتَفْحِلُ

وإِنَّ النِّـــــزَاعَ ذَهَـــــابُ القُـــــوَى وبَعْـــــضُ التَّـــــوَرُّمِ قَـــــدْ يَقْتُـــــل

إذا مَـــــا نَمَـــــا الْعُضـــــوُ فِي مَعْـــــزِلٍ عَـــــنِ الْجِسْـــــمِ فالْجِسْـــــمُ لا يَقْبَـــــلُ[3]

نَقُـــــولُ لِمَـــــنْ هَمُّهُـــــم كَثْـــــرَةٌ حَـــــذَارِ فَكَـــــم كَثْـــــرةٍ تَفْشَـــــلُ

---

١ كما أنهم حاوروا الاشتراكيين العلمانيين وكان على رأسهم مقبل ، في حين لا يطيقون محاورة الشيخ مقبل ، وكتاباتهم وإعلامهم يُروِّج للانفتاح والعلْمَنة فهل ينتظرون أن ينصرهم الله بذلك ؟ أو أن الخلل قد أصابهم فلا يهتمون بالصالحين بل يَزْدَرونهم ويُبالغون في الاهتمام بالطالحين ؟ وقد أفضت هذه التصرفات في نهاية المطاف إلى تنكُّر العلمانيين لهؤلاء الإسلاميين المُنْفتحين والشماتة بهم ، وإلى سيطرتهم وسيطرة الروافض على اليمن ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٢ حثٌّ على التصالح بين الجماعات الإسلامية ، وأنّ جمْعهم على الهُدى ممكن بإذن الله كما اجْتمع السلف لو صدَقتْ النيّات .

٣ ولكن العقبة في تقديس الأهواء والزعامات ، فينتج النزاع وتتشكل جيوبٌ من الأهواء في الجماعات الإسلامية ، شبيهة بالأورام السرطانية القاتلة التي تجعل بعض الأعضاء تنمو نموّاً غير طبيعي .

وأُمَّتُنَـــــا شِـــــبْهُ دَوَّامَـــــةٍ وإِنْقاذُهَـــا بالْـــــهُدَى أَسْـــهَلُ

وإنّ النُّفُـــــوسَ علَـــــى مَوْعِـــدٍ إذا غيَّـــــرَتْ وبَـــــدَا الأَفْضَـــــلُ[1]

ومَـــن لَـــمْ يَجِـــدْ مَحْمَـــلاً لِلْكَـــلامِ فَعِنْـــــدَ الْكِـــــرامِ لَـــــهُ مَحْمَـــــلُ

وتـــاللهِ مـــا كَـــانَ مِـــن مَقْصِـــدٍ سِـــوَى الْحَـــقِّ والْحَـــقُّ لا يُهْمَـــلُ

* * *

١ والنفوس على موعدٍ من الله بالتغيير إذا تغيّرتْ للأفضل ، قال تعالى : (إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم) الرعد .